الندوة الوطنية حول الزليج الجزائري تاريخ و حضارة

عنوان المداخلة : الزليج العثماني نماذج من مدينة قسنطينة

Models of Ottoman tiles in constantine

الجهة المنظمة: الأكاديمية الجزائرية للشباب و إحياء التراث و رئيس المكتب الولائي و رئيسة الندوة
يوم : 14مارس 2023 دار الثقافة مالك حداد قسنطينة

شافية عبلول الدرجة العلمية : أستاذة محاضرة ب مؤسسة الانتماء :جامعة الأمير عبد القادرقسنطينة

ملخص المداخلة:

شهدت الدولة العثمانية في الجزائر تنوعا كبيرا في منشآتها المعمارية ومنتجاتها الفنية المختلفة منها ما بقي على حاله ومنها ما اندثر ، ومنها ماهو موجود في متاحفنا ، إذ تعتبر المنتجات الفنية وثائق حية تعبر عن حضارة راقية تجسدت من خلال تعدد نماذجها ، كما تكشف عن حلقة تاريخية في تاريخ المجتمع الجزائري ، ومن بين هذه المنتجات البلاطات الخزفية التى تنوعت سواء في العمارة الدينية أو المدنية في مدينة قسنطينة ، ماهي مصادر هذه البلاطات وماهي أهم الزخارف التى تكتسيها ؟

وللإجابة على هذه الاشكالية نتبع المنهج التاريخي الذي تناولنا فيه التسميات التى أطلقت على المربعات أو البلاطات الخزفية ، بالإضافة إلى نماذج عن الزخرفة بالبلاطات الخزفية في المغرب الإسلامي المغرب الأوسط وبالضبط نماذج من عمائر قسنطينة الدينية و المدنية و ذلك بإبراز أهم أنواع البلاطات الخزفية والخصائص الفنية و الزخرفية لها.

الكلمات المفتاحية : الزليج ، قسنطينة ، الفترة العثمانية ، مساجد ، مساكن

Abstract :

Ottoman Empire in Algeria witnessed a great diversity in its architectural installations and its various artistic products, some of which remained intact, some of which disappeared, and some of which are present in our museums, as the artistic products are considered living documents that express a sophisticated civilization embodied through the multiplicity of its models. They also reveal a historical episode in The history of Algerian society, and among these products are ceramic tiles that varied whether in religious or civil architecture in the city of Constantine. What are the sources of these tiles and what are the most important decorations they cover?

To answer this problem, we follow the historical approach in which we dealt with the names given to ceramic squares or tiles, in addition to examples of decoration with ceramic tiles in the Islamic Maghreb and the Middle Maghreb, and exactly examples from the religious and civil ages of Constantine, by highlighting the most important types of ceramic tiles and their artistic characteristics and characteristics. Its decorative.

Keywords : The clay, Constantine, the Ottoman period, mosques, residences

مقـدمـــة :

شهدت الدولة العثمانية في الجزائر تنوعا كبيرا في منشآتها المعمارية ومنتجاتها الفنية المختلفة منها ما بقي على حاله ومنها ما اندثر ، ومنها ماهو موجود في متاحفنا ، إذ تعتبر المنتجات الفنية وثائق حية تعبر عن حضارة راقية تجسدت من خلال تعدد نماذجها ، كما تكشف عن حلقة تاريخية في تاريخ المجتمع الجزائري ، ومن بين هذه المنتجات البلاطات الخزفية التى تنوعت سواء في العمارة الدينية أو المدنية في مدينة قسنطينة ، ماهي مصادر هذه البلاطات وماهي أهم الزخارف التى تكتسيها ؟

تعريفات :

الفخار هو كل أنية صنعت من طين و شويت في النار ، و الخزف هو كل أنية فخارية تطلى بمواد مزججة تشمل على أكاسيد معدنية ملونة تكسبه ألوانا لامعة براقة ، و لكى تلتصق هذه الأكاسيد على سطح هذه الفخاريات يجب أن تحرق للمرة الثانية تحت درجة حراراة مرتفعة .

التسميات :

هناك عدة تسميات تطلق على المربعات أو البلاطات الخزفية و منها :

القاشاني:

ترجع هذه التسمية إلى مدينة قاشان في ايران، والتي اشتهرت بالصناعات الخزفية، ومنها انبثقت لفظتي **القاشي والكاشي** و يعتقد أن كلمة كاشي منبعها من الكلمة الفارسية كاش أو كاج والمقصود بها الزجاج كما يعرف **بالقاني** داخل مصر و جنوبها.

الزليج :

نجد أن لفظة (Azuléjo) وردت في قاموس اللغة الإسبانية و كتبت (Azzulicha) أي الزليجة وهي من أصل عربي وتحمل نفس المعنى أي اللون الأزرق.

زليزلي:

أطلقت هذه اللفظة على الزليج في شمال مصر، ولعلها تحريف لها.

الزخرفة بالبلاطات الخزفية في المغرب الإسلامي :

أولى البلاطات الخزفية بالمغرب الاسلامي وجدت بمحراب جامع القيروان وهي مربعة الشكل وقد جلبت من سمراء ، أما المغرب الأوسط أقدم مركز لصناعة الفخار في قلعة بني حماد في القرن الخامس هجري ، ولا تزال نماذج من البلاطات الخزفية الحمادية محفوظة بالمتحف الوطني سطيف

كما عرف الموحدون صناعة الفسيفساء الخزفية بعد سقوط قلعة **بني حماد** بأيديهم في النصف الأول من القرن6 هـ/ 12م، وبعد ذلك انتقلت هذه الصناعة إلى المغرب الأقصى والأندلس، كما انتشرت في عصر بني مرين.

وتعتبر ازنيق و بورصة من من المراكز الصناعية المهمة للبلاطات الخزفية ففي القرنيين 17/16م ، انتشر إستعمالها على نطاق واسع في تركيا و كسيت بها جميع المباني ثم انتشرت في العالم الإسلامي . وبعد الحاق الجزائر بالدولة العثمانية ، استعملت هي أخري البلاطات الخزفية ، إذ شهدت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني تطورا ملموسا في جميع المجالات سواء الفنية أو العمائرية ، وكان الزليج من بين الفنون التى أولاها العثمانيون اهتماما كبيرا فإستعملوها في عمائرهم سواء الدينية أو المدنية و سوف نتطرق إلى نماذج منها :

جامع سيدي الكتاني :

يقع جامع سيدي الكتاني في نهاية شارع كرامان بساحة سوق العصر يحيطه من جهة الغرب نهج بن الموفوف و من جهة الجنوب الشرقي نهج بوهالى العيد يعود بناؤه إلى الباي صالح بن مصطفى الزميرلي الذي تولى قيادة بايلك قسنطينة بين سنتي (1185-1207 هـ/1771 -1792 م) ، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة (1190هـ /1776 م حسب الكتابة التذكارية التى نقشت على اللوحة الرخامية مثبتة فوق المدخل الرئيسي للجامع بالجهة الجنوبية مكتوبة بالخط النسخي المغربي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

مطالع الخير جاءت من أفق شاو السعادة

و أشرق الجو منها بمسجد للإفادة

بناه باي الزمان هو صالح ذو المجاده

تراه في الخير يسعى ذخراليوم الإعاده

حباه ربي بيتا في جنة وزياده

إن رمت تاريخه قل. سنة 1190. ذا مسجد للعباده

الصورة1: توضح اللوحة الرخامية (من عمل الباحثة)

البلاطات التونسية :

عرفت البلاطات الخزفية بتونس إنتشارا كبيرا خلال العهد العثماني و بحكم التقارب الجغرافي بين تونس و الجزائر كان التبادل التجاري بينهما قويا ، وقد اشتهرت معامل نابل بصناعة المربعات الخزفية وهي وريثة مدينة جربة في هذا المجال ، كا امتازت منتجاتها بمربعات صغيرة تتراوح بين 5 سم إلى9 سم و يطلق عليها الخطاف لأن تصميمها يشبه جناح الخطاف ، وهي ذات شكل هندسي المتمثل في مثلث أخضر و أصفر أو أخضر و أبيض و هذا الأخير وجد في عمائر قسنطينة .

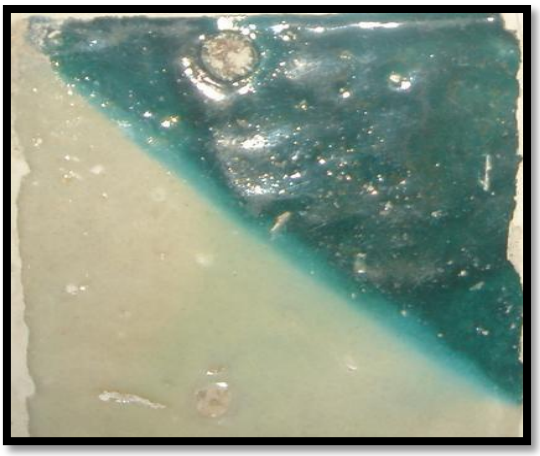

الصورة 2:البلاطة التونسية (من عمل الباحثة)

البلاطات الخزفية الايطالية :

لقد كانت مدينة البندقية تصدر المرايا والزجاج والخزف مقابل المنتوجات الزراعية والحيوانية، كما تعاملت الجزائر مع مدن ايطالية أخرى مثل جنوة وصقلية اللتان كانتا تصدران لها الخزف و المرايا و الأقمشة الفاخر ، ولم يكن التعامل بينهما متوقف عند هذه المنتجات فقط وإنما توسع إلى تصدير البلاطات الخزفية ، إذ تذكر سجلات ووثائق خاصة ببايلك قسنطينة استيراد **صالح باي** العديد من شحنات البلاطات الخزفية ("الزلايج "كما ذكرت في الوثائق)بالإضافة إلى مواد أخرى عبر الشركة الملكية الإفريقية و التى كان يتعامل **صالح باي** معها شخصيا، وقد كانت تصل هذه الشحنات إلى كل من ميناء عنابة و القالة ، و كانت تأتى من مدينة جنوة الايطالية.

تميزت زخارف هذه البلاطات بتركيزها على الأزهار ذات اللون الأبيض و الأصفر بالإضافة إلى الأوراق و الفواكه بألوان مختلفة على أرضية زرقاء رسمت فوقها زخارف بالأزرق والأخضر والبنفسج والأصفر.

الصورة3 : تمثل بلاطة تجويفة المحراب (من عمل الباحثة)

الوصف :

البلاطة مربعة الشكل متكررة تشكل لنا زخرفة دائرية في المركز ويحيط بها دائرة أخري غير منتظمة على هيئة مربعين يبرز في أركانها سلال و بداخلها الأوراق التى تتوسطها زهرة النسرين مع وجود ثمرة الرمان

الصورة4 : تمثل بلاطة في الجدار (من عمل الباحثة)

الوصف :

تجميعة من أربع بلاطات قوام زخارفها دائرة مركزية، تبرز منها أوراق طولية ثلاثية، تتناوب مع أوراق الاكانتس، تنمو باتجاه منتصف أضلاع التجميعة تعلوها أنصاف دوائر مفصصة تكتمل بالبلاطات المجاورة لتشكل لنا زهرة بسيطة ، و باتجاه الأركان الخارجية تنمو سيقان متفرعة تنتهي بدائرتين تعلوها زهرة القرنفل، تبرز من الساق أفرع مورقة حلزونية ، و الألوان المستعملة هي الأزرق الغامق و البنفسجي و الأخضر .

مدرسة سيدي الكتاني و المقبرة

تقع المدرسة بالجانب الشرقي لجامع سيدي الكتاني ، وهي الأخري من بناء صالح باي مؤسس الجامع ، وقد كان بناؤها في سنة (1190 هـ/1776 م)

اما المدرسة الكتانية فتخلو قاعة الدرس والصلاة من أي بلاطات ايطالية ، في جين نجد في قاعة الصلاة البلاطات التونسية ، كما نجد أن المقبرة كسيت جدرانها ببلاطات مختلفة منها:

الصورة 5

الصورة 6

الصورة 7

الوصف :

يتألف من مربع مركزي متداخل، تشع من أركانه أوراق الاقنثة شديدة التحوير،وبمنتصف أضلاعه أوراق ثلاثية صغيرة، يحيط التصميم المركزي مربع اكبر، أضلاعه من عناصر حلزونية على هيئة حرف الألف المقصورة (ى) تلتقي بالأركان الخارجية للبلاطة، تتوسطها ورقة من نفس النوع الأول لكنها نفذت بأسلوب هندسي افقدها شكلها، وبمنتصف أضلاع التجميعة أنصاف دوائر على جانبيها أنصاف أوراق ثلاثية كاسية تكتمل بالبلاطات المجاورة.(الصورة 5)

داربن جلول :

تقع دار بن جلول على الجانب الغرب من جامع و مدرسة سيدي الكتاني تطل على سوق العصر ، وقد كان بناؤها على يد صالح باي خلال نفس الفترة التى بنا فيها الجامع و المدرسة .

الصورة8 من عمل الباحثة

الصورة 9

الصورة 10

الصورة 11

الصورة 12

الوصف :

يشكل أحيا نا موضوعا زخرفيا من أربع بلاطات، وأحيانا أخرى في شكل لوحة جدارية ذات موضوع يختلف عن الأول، يتألف من 16 بلاطة، استخدم على شكل حشوات بجدران الغرفة الشرقية ، قوام زخارفه غصن نباتي غليظ ملتوي بطريقة لولبية، تنمو وتلتف حوله فروع نباتية تنتهي بأوراق كبيرة مسننة ومركبة من زهيرات صغيرة رباعية وخماسية ودوائر متصلة ببعضها البعض، أو بأغصان جافة تنتهي الأوراق بأطراف منحنية وملتوية، وهي تشبه كثيرا ريش الطائر، وتلتف حول الغصن أيضا فروع أخرى مزهرة رباعية وسباعية وأزهارالاقحوان من الحجم الكبير.(الصورة 12)

الخاتمة :

يمكن أن نخلص إلى أن البلاطات الخزفية العثمانية تميزت بالتنوع و الكم الهائل في الموقع الواحد ، و كذا الألوان المتعددة و المناطق التى جلبت منها و تنوع زخارفها من الأزهار الطبيعية و السيقان و الفروع و ورقة الأقنثة ، بالإضافة إلى الثمار مثل الرمان ، و في الأخير ننوه على ضرورة حماية هذا الموروث و الاهتمام أكثر به خصوصا أثناء عمليات الترميم.

ثبت المراجع :

1-عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2000.

2-عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية) عرب -فرنسي -إنكليزي(، جروس برس، لبنان، 1988 م.

2- سعاد محمد ماهر، الفنون الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1976 .

3-عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،.1990

4 -عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة،بيروت ، دت .

5- دحدوح عبد القادر ،مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية ، رساة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأثار الاسلامية ،2009-2010 م.

6. حمدوش زهيرة ،البلاطات الخزفية بمدينة قسنطينةخلال العهد العثماني ، دراسة نموذجية أثرية فنية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير ، جامعة الجزائر، 2009.

7- مجدوب(سهام)، جمالية الفن الإسلام في واجهات المدارس الزيانية والمرينية ببلاد المغرب الأوسط والأقصى، رسالة ماجستير، تخصص آثار إسلامية ،جامعة الجزائر2 ، معهد الآثار، 2010.

8- حروش مفيدة ،أطلس المعالم الإسلامية بمنطقة قسنطينة دراسة تاريخية أثرية ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2010-2011م

9- عقاب(محمد الطيب)، من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل، المربعات الخزفية،مجلة الت دراسا الأثرية(جامعة ا لجزائر، معهد الآثار)، المجلد1 :، العدد2، 1992.

11- علي بن بلة و محمد عزيز المقراني ،" دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية بالمتحف الوطني للآثار"، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد4 ، الجزائر 1994 م.

12- معزوز (عبد الحق)ودرياس(لخضر)، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج1 .الجزائر ، مطبعة سومر، 2000م.

Ricard (P), Pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du nord et en Espagne, Paris, Hachette, 1924